

ثقافة الذكاء بين اللغوي والإرادي

2017-03-21 د. زهير الخويلدي

"الذكاء هو القدرة على الاستفادة من الخبرات السابقة في حل المشكلات الحاضرة والتنبؤ بالمشكلات السابقة" - جودارد godard -

لم يقتصر التفكير الذي يخرط ضمنه الإنسان على أدوات الإدراك وسبل المعرفة ولم ينحصر على الحواس والخيال والذاكرة والموروث بل شمل أيضا تحليل قدرات الذكاء وطرق استعمال اللغة ووظيفة الإرادة والميول والدوافع في توجيه الأفعال وتجسيم الأفكار والانتقال بها من حقل النظر إلى حقل العمل.

في هذا الصدد أين تناقش قضية صناعة الذكاء؟ هل ضمن دائرة البيولوجيا الموروثة أم ضمن التجربة الإدراكية المكتسبة؟ وهل الذكاء وظيفة نفسية أم مهارة عرفانية تتكون من تفاعل جملة من العناصر؟

إذا كانت الثقافة هي بنية مادية ومعنوية في نفس الوقت تسعى إلى السيطرة على الطبيعة وتغييرها المفيد من أجل مصلحة الإنسان عامة وإذا كانت تمثل طريقة حياة متميزة تحتوي على مجموعة من الأنماط السلوكية والمنتجات المادية والفنية فإن الحضارة هي حكم تفضيلي يرتبط بالتقدم التقني والعلمي ويقوم على نكران الغرائز والإكراه على العمل وتعمل على ضمان بقاء المجتمع واستمرار ازدهاره.

إذا كان مجتمع الوفرة يتميز بقدرة صناعية وتقنية هائلة ومستوى مرتفع من المعيشة وتركيز على القوة الاقتصادية وتحكم في السلوك الفردي والجماعي في أوقات الفراغ ضمن أداء وظيفي موحد فإن مجتمع المعرفة يتصف بالقدرة على الإنتاج باستخدام الذكاء الاصطناعي وتحول المؤسسات الحكومية إلى هيئات ذكية تعتمد على رقمنة نظم المعلومات وتمارس ديمقراطية إلكترونية والتواصل الافتراضي.

إذا كانت السلطة، على هذا الأساس، تمثل أحد أشكال الحكم والهيمنة وتمارس بطرق مختلفة وتوجد في كل مكان وتتراوح بين القوة والضعف فإن الدولة هي جهاز سيطرة تمتلكه طبقة حاكمة وتفرض به سيادتها المادية والإيديولوجية وتمثل مختلف الأجهزة التي تحول دون تمتع الأفراد بحرياتهم وتصرفهم بإراداتهم وتمكنهم من الوعي بذواتهم وحسن استخدام ألسنتهم للتعبير عن أفكارهم ومطالبهم الحقوقية.

من جهة أخرى إذا كانت اللغة مؤسسة اجتماعية تعتمد على فاشية اللسان في التوحيد وتتكون من نسق من العلامات والرموز يتحرك ضمن عدد من القواعد التركيبية فإن الكلام عمل فردي يتوجه إلى الانجاز ومقام وجودي تشتغل فيه الذوات على إعادة تشكيل عالم الدلالة والمعنى ضمن دائرة الفعل البشري.

إذا كان الدافع تجربة انفعالية يقبل بالتحول من موضوع إلى نقيضه عن طريق عملية الإلقاء وخضوع لمثير خارجي يتطلب استجابة فورية ورد فعل إلهي فان الإرادة هي القيام بفعل أو الامتناع عن ذلك بتركة عن وعي وقصدية وتتسلح بالقدرة على التحكم في الذات والتوقي من نتائج ذلك الفعل وتأثيراته في المحيط الطبيعي والنسيج الثقافي والإطار الاجتماعي.

بطبيعة الحال إذا كان الذكاء هو قدرة عقلية فطرية تمكن الإنسان من التغلب على المشاكل التي تعترضه في الحياة والتأقلم مع الواقع الاجتماعي فان التخيل هو استحضار الأشياء الغائبة في مظهرها الشامل بطريقة تخول للإنسان امتلاكها والسيطرة عليها والانتفاع بها على الصعيد العملي وفي المجال المدني.

على هذا النحو لم يعد الذكاء الإنساني يقتصر على التفكير المجرد والاستبصار بادراك العلاقات الدالة بين عناصر المنظومة وفهم المعاني وطلاقة اللسان وسرعة إجراء عمليات ووضوح تصور العلاقات الزمانية والمكانية وقوة التمييز والقدرة على الاستقراء وإنما صار يشير بالأساس إلى مرونة التعامل مع المواقف المغايرة والقضايا الطارئة والقدرة على التكيف مع الصعوبات والتغلب على المشاكل.

لقد أشار رالف لنتون في كتابه "دراسة الإنسان" إلى ما يلي: "لا يمكن التحقق من ذكاء الفرد إلا بصورة مباشرة عن طريق المعلومات والمهارات الفنية وما شابه ذلك، وهذه أمور تحددتها الثقافة أكثر من القدرة الفطرية الأصلية". غاية المراد هو ارتباط ثقافة الذكاء بإتقان الفهم اللغوي والفعل الإرادي ضمن البلوغ بالشئ إلى تمامه لكن أليس المطلوب هو تحويل كل ذكاء تأملي إلى ذكاء عملي من اجل الخلق والابتكار؟ ألا توجد أزمة في التصرف في قوة الذكاء واستثمار الرأسمال البشري في اتجاه تنمية مجتمع المعرفة؟ متى يعود الوعي السياسي والالتزام الوجودي إلى ثقافة الذكاء وترجع بالنتج والفائدة على الإنسانية؟

* كاتب فلسفي

.....

* الآراء الواردة لا تعبر بالضرورة عن رأي شبكة النبا المعلوماتية